الشاه محمد خدابنده

وهو ابن طهماسب جلس على العرش سنة (٩٨٥هـ) ، وكان ضعيف البصر لدرجة العمى ، ولكنه كان جبّاراً ، فقد قتل أخته (بريخان) لما لها من نفوذ عالي في القصر ، كما قتل أخواله ، وحتى أطفال أخيه إسماعيل الثاني ، وحصل قتال بينه وبين العثمانيين زمن السلطان مراد الثالث ، وحاول القزلباشية التلاعب بالحكم ووضع حاكم يناسبهم ، ولكن ابنه عباس وكان وقتها عمره (١٧) سنة – فطِن لذلك فجمع جيشاً كبيراً من القبائل وخلع أبوه سنة (٩٥٥هـ/١٥٨٧م)[١] .

عهد الشاه عباس الكبير

كان الشاه عباس على صغره رجلاً صاحب دهاء ومكر ، وكل شيء يفعله غايته تبرر وسيلته ، فقام بقتل مربيه وخيرة قواده ، ومدة حكمه كانت (٤٢سنة) ، من سنة (٩٩٦هـ – ١٠٣٨هـ) (١٥٨٧-١٦٢٨م) ، وكان أول ما قام به معاهدة صلح مع العثمانيين و سلّم مدناً كثيرة متنازلاً عنها للعثمانيين . كما شُرط عليه إيقاف لَعْن الخلفاء الراشدين الثلاثة – والذي كان معمولاً به في إيران – فَقَبِلَ ، وأبقى ابن أخيه رهينة عند العثمانيين ، ووافق على كل الشروط الملقاة عليه[٢] .

---

(١) « إيران دراسة عامة » (١٤٩-٢٥٠) .

(٢) « تاريخ إيران زمين » ، د . محمود جواد مشكور (ص٢٧٥) .

كان الأوزبكيون السُّنَّة قد استولوا على خراسان وعلى مدينتي مشهد وسبزوار سنة (١٠٠٢هـ) ، ولكن موت ملك الأوزبك (عبد الله خان) وقتل أخوه (عبد المؤمن) سهّل على الشاه عباس مهاجمة مدينة هراة وطرد الأوزبك من المنطقة سنة (١٠٠٦هـ) .

بعد ذلك اتصل الشاه عباس ببريطانيا لترسل له خبراء أسلحة ، ورحبت بريطانيا بذلك فأرسلت له « السير أنطوني سيرلي » وأخاه السير « روبرت سيرلي » ، واتفقوا على تكوين جيش جديد من حملة البنادق بدل الرماح والسيوف ، كما أدخل المدفعية وبنى مصانع للسلاح ، كما إنه كوَّن قبيلة سماها « شاهسون » أي أصدقاء الملك وهو تجمّع على أساس الولاء للملك لا على أساس القربى والنسب[١] .

كما ساعد الإنكليز في إضعاف النفوذ الهولندي في الخليج العربي ، وإبداله بالنفوذ الإنكليزي ، واشتركا معاً بجيوش لتنفيذ هذه المهمة واستمرت حروبهم حتى سنة (١٠٣٤هـ) .

أما حروب الشاه عباس ضد العثمانيين فبدأت عندما شعر الشاه بقوته ، وشرع بإرجاع ما أعطاه لهم في معاهدته مثل مدينة « تبريز » ، كما إنه حاول احتلال منطقتي « شروان وديار بكر » ، ثم توجه أخيراً إلى بغداد[٢] .

---

(١) « تاريخ إيران » ، سايكس (٢٧١/٢) ، و « إيران دراسة عامة » (ص٢٥٢) .

(٢) « خليج فارس در عصر استعمار » ، وادالا ، ترجمة شفيع جوادي (٤٢ ـ ٤٣) و « تاريخ إيران زمين » (٢٧٧) .

والشاه عباس كان طائفياً بشكل جلي ، وأشنع ما أراد فعله أنه حاول أن يقنع الإيرانيين بالتخلّي عن الذهاب إلى مكة لأداء فريضة الحج والاكتفاء بزيارة قبر الإمام الثامن عند الشيعة (علي بن موسى الرضا) في مدينة « مشهد » ؛ لأن الواجب القومي يحتّم عدم السفر عبر الأراضي العثمانية ودفع رسم العبور لها ، وكان يحث رجال الدين لتعظيم زيارة الرضا ، كما قام بزيارات للرضا وذهب مرة ماشيا على قدمه ، ويقال إنه مشى أكثر من (١٣٠٠كم)[١] .

كما إنه عامل الأكراد السُّنَّة معاملة سيئة ، فقد طلب منهم الدخول في المذهب الشيعي فرفضوا مما أدى بالشاه عباس إلى قتلهم وتشريدهم إلى بلاد خراسان ليكونوا حاجزاً بينه وبين الأوزبك السُّنَّة ، وقد قتل في عدة أيام (٧٠ألف كردي) ، ورحّل (١٥٠٠٠) عائلة كردية[٢] .

وكان أحياناً يُمَثّل بعلماء السُّنَّة فيقطع آذانهم وأنوفهم ويعطي هذه

---

(١) « الشاه عباس الكبير » د . بديع محمد جمعة (١٠١-١٠٢) .

(٢) « خلاصة تاريخ الكرد وكردستان من أقدم العصور التاريخية حتى الآن » ، محمد أمين زكي ، ترجمة محمد علي عوني ، ١٩٣٦م ، (٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١١) .

History of Persiav'vol 11 , P 174

وفي ذلك عبرة للأكراد وخاصة أكراد العراق ، فقد صمد أجدادهم على المذهب وفعل الشاه عباس ما فعل ، فهو يحاربهم من أجل المذهب ، واليوم تعاون قادة أكراد العراق (الطالباني ـ البارزاني) مع الشيعة واطمأنوا لإيران ، ولن ترحمهم إذا انتهت من سُنَّة العراق ، فهم على أي حال سُنَّة ، والعاقل من اتعظ بغيره .

الأعضاء لعوام السُّنَّة ويجبرهم على أكلها[١] .

وكان يقتل أسرى العثمانيين والأوزبك فإن لم يقتلهم سمّل عيونهم ، إلا إذا تخلوا عن مذهبهم فلهم حينئذ حكم آخر[٢] .

وربما كان يحاصر مدناً سُنِّيَّة من أجل تسليمه شخصًا مطلوبًا وإلا قتل كل أهل المدينة كما فعل مع مدينة همدان[٣] .

بينما كان يكرّم النصارى سواء من كانوا من أهل إيران أو رعايا الدول الأوروبية ، بل كرم حتى المبشرين النصارى في إيران . وبنى مدينة للأرمن قرب أصفهان ، تدعى « جلفا » ، وكان يكرّمهم بشكل غير طبيعي ، لذا أقبل تجار أوروبا من كل حدب وصوب إلى إيران ، وأصدرت قوانين بإعفائهم من الضرائب ، ومنع رجال الدين الشيعة من إزعاجهم أو مناقشتهم ، وكان يقدّم هدايا لحم الخنزير إليهم ، وأمر جميع أعضاء البلاط باحتساء الخمر مشاركة للمسيحيين حتى ولوكان ذلك في شهر رمضان ، وبنى لهم الكنائس ، بل كان يشاركهم أعيادهم وسماع مواعظهم ، مما شجع بعض القساوسة لدعوته للدخول في الدين النصراني ولكنه اعتذر بلطف[٤] .

---

(١) « الشاه عباس الكبير » (ص١٠٣) .

(٢) « عالم آراي عباسي » (٣٣٤-٣٣٥) .

(٣) مرجع سابق (١٠٣-١٠٤) . و كما فعل الأمريكان بالتعاون مع فيلق بدر وحاصروا الفلوجة وطلبوا من أهل الفلوجة تسليم بعض المطلوبين .

(٤) « الشاه عباس الكبير » (١٠٦-١٠٧) ، تاريخ إيران بعد الإسلام (٦٧١) .

أما خلاصة ما فعله في مدينة بغداد :

فقد ثار قائد من القواد العثمانيين يدعى (بكر صوباشي) على والي بغداد وسيطر على بغداد ولكنه خاف من بطش العثمانيين ، فأرسل إلى الشاه عباس يطلب منه دعمه مقابل أن تكون بغداد تابعة له[١] ، رحب الشاه عباس بذلك ، حتى يستعيد بغداد ويتمكن من زيارة النجف وكربلاء ، وتكون تحت تصرفه .

توجه صوب بغداد وعندما اقترب من بغداد طلب من « بكر صوباشي » مفاتيح بغداد ، ولكن بكر رفض تسليمه خوفاً من الغدر به . واستطاع الشاه عباس دخول بغداد والسيطرة على مدينتي الموصل وكركوك وسيطر على أغلب العراق وذهب إلى مدينة النجف .

ولكن ماذا فعل الشاه عباس ببغداد ؟

هَتَكَ حرماتها وأستارها ، ورمّل نساءها ، ويتّمت الأطفال ، وأتلفت الثروات ، وخرّبت الجوامع ، وجعلت أرضاً منبسطة ، وهدّمت المراقد ونهبت ، ومنها مرقد أبي حنيفة وعبد القادر الجيلاني . وأما العشائر فنكّل بها وأجرى عليهم عدة مظالم .

والشاه عباس خدع أهل بغداد عندما وعدهم بالأمان كي يسلموا أسلحتهم ، وأخذ يقتل ويعذب الآلاف ورفض كثير من أهل بغداد تغيير عقيدتهم وفضلوا الموت على التشيّع ولو بالظاهر ، وأخذ أطفالهم

(١) مثلما فعلته المعارضة العراقية استعانت بالمحتل وإيران على حكومتها .

والنساء فباعهم كعبيد إلى إيران ولم يعرف لهم خبر ، وكان ينوي إبادة أهل السُنَّة في بغداد ، لذا طلب من سادن وخادم كربلاء إعداد قوائم لأهل السُنَّة والشيعة كي يبيد أهل السُنَّة ، وحوّل المدارس الدينية إلى إصطبلات وهدم جامع أبي حنيفة وجامع عبد القادر الجيلاني ، ثم عين والياً لها وغادرها إلى بلاده . وكان ذلك سنة (١٠٣٣هـ)[١] .

وفي سنة (١٠٣٨هـ) هلك الشاه عباس .

وولي بعده الشاه صفي الأول سنة (١٠٣٨هـ) ، وفي عهده وبالتحديد في سنة (١٠٤٨هـ) حرر العثمانيون منه مدينة بغداد وكل العراق ولم يستطع الصفويون عمل أي شيء للعراق بعد ذلك علماً بأن إيران هي البلد الوحيد المجاور للعراق والتي لها أطماع في احتلاله دائماً ، واعتداءات إيران على العراق أشهر من أن تذكر .

المستحدثات في عصر الشاه عباس

١ـ أقام أعياداً لكل يوم ولادة إمام من الأئمة الاثني عشر ، كما أقام العزاء في ذكرى وفاتهم ، وخصص (٨) أيام لعلي بن أبي طالب في رمضان[٢] .

٢ـ أبقى وأيّد كل ما استحدثه الشاه إسماعيل .

---

(١) تفاصيل كل ذلك في كتاب « العراق بين احتلالين » ، المجلد الرابع ، و « أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث » لونكريك .

(٢) « زندكاني شاه عباس أول » (٦/٣) .